

الكتز الثمين

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمنه، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونشي عليه الخير كله، ونشكره ولا نكره ونخلع ونترك من يفخره، ونسأله الهدية والتوفيق لأقوم طريق، فمن يهدي الله فهو المهتدى، ومن يضل فلن تجد له ولها مرشدًا، نحمنه سبحانه ونشكره، فله النعمة وله الفضل، وله المن وله الثناء الحسن. ونشهد أن لا إله إلا الله، ولا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، الذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق بشيراً وذيراً، ونشهد أنه بلغ ما أنزل إليه، وأوضح ما أوحى إليه، وجاحد في الله حق جهاده، ودعا إلى عبادة ربه، وإخلاص الدين له، فهدى الله به من الضلال، وبصر به من العمى، وأرشد به أهل الغواية، فصلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى الله وصحابته الذين ساروا على نهجه، وقاموا بدعوه، وتمسّكوا بشرعه، ومن تعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: فإن من واجب كل مسلم بذل النصح والتوجيه للأمة الإسلامية حسب جهده ومقدراته وذلك هو الدين كله، كما في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: {الدين النصيحة -ثلاثاً}. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم} رواه مسلم برقم (55)، في الإيمان، باب "بيان أن الدين النصيحة". وفي الصحيحين عن جرير البجلي -رضي الله عنه- قال: {بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم} رواه البخاري كما في الفتاح: (13/204) - برقم: (7204) في الأحكام، باب "كيف يبايع الإمام الناس". ومسلم برقم (56) في الإيمان، باب "بيان أن الدين النصيحة". ولفظ البخاري: "بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، فلقتني فيما استطعت، والنصح لكل مسلم". وإن من النصيحة للأمة تعليمهم ما يهمهم في أمر الدين والدنيا، وتحذيرهم من كل ما يضرهم ويؤذيهم، وذلك أن الإنسان في هذه الدنيا قد احتوشه الأعداء، وأحدقت به من كل جوانبه. فالشيطان الرحيم يدعوه وبسول له، ويعده ويمينه؛ ليوقعه في الكفر، أو في البدع، أو في المعاصي، وقل من ينجو من كيده وتسوبله. كما أن النفس الأمارة بالسوء تميل إلى الشهوات، وتستقبل الطاعات. كما أن الهوى يعمي، يصم. الدنيا تتزين له بزخرفها ومتاعها الفاني. فمع تجمع هذه القوى على كل فرد قد يضعف قلبه عن مقاومتها، ويفرغ صبره، فلا بد أن يجد من يمده بقوه، ويحثه على التحمل والثبات، مهما تكالبت عليه القوى الإلليسيه وأعوانها، ولا شك أن هذا مما يجب على كل مسلم أن يبذل جهده في إنقاد المسلمين، وتخلصهم مما قد علق بأذهانهم وأفكارهم من الأوهام والدعایات والشبهات، فإن كل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام، فعليه الحذر أن يؤتى الإسلام من قبله. ويتأكد على حملة العلم وطلبته أن يستشعروا حاجة الأمة إلى ما وهبهم الله من العلم والمعرفة؛ ليقوموا بجهدهم في تعليم الأمة ما ينفعها، ونشر العلم الصحيح بين الأفراد والجماعات؛ حتى لا تخبط الأمة في طلمات الجهل والتقليد الأعمى، وحتى يخرجوهم من الظلمات إلى النور، ويوضّحوا لهم سبيل النجاة، لتكون الأمة على بصيرة من أمر دينها، ولتعمل على نور وبرهان، فمتن سكت أهل العلم عن البيان، أو أخفوا ما عندهم من العلم الصحيح، فإنه يذهب ذلك العلم الذي يذلوا في تحصيله جهداً كبيراً، ويتبلاشى من صدورهم أو ينسى بمعرفتهم، فإن كتموه وهم يرون مسيس الحاجة إليه، كبر إنهم وعظم جرمهم، فقد ورد الوعيد الشديد لمن كتم العلم، كما قال تعالى: {وَلَا تَلِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُّمُوا الْحَقَّ وَأَتَتُمْ تَعْلَمُونَ}. والحق هو العلم المتلقى من الله تعالى بواسطة الرسل، وكتمانه إخفاوه مع وجود الحاجة في الأمة، وقد ورد في الحديث المشهور عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: {من سئل عن علم فكتمه ألم يحيى يوم القيمة بلحام من نار} رواه الإمام أحمد في مسنده: 1/161. وأبو داود برقم (3658)، في العلم، باب "كراهية منع العلم". والترمذى برقم (2649)، في العلم، باب "ما جاء في كتمان العلم". وحسنـه قال الأرناؤوط في تحقيق شرح السنة (1/301، 302) حديث حسن رواه ابن عبد البر في أول كتاب العلم بإسناده من عدة طرق . ولأجل ما تقدم قام بعض الأخوة الصالحين -كما نحسّهم ولا نذكر على الله أحداً- بجمع هذا المجموع وترتبيه، وهو عبارة عن مقالات ومحاضرات وأوجوه صدرت منها في بعض المناسبات، وقد أفرغها من الأشرطة وعرضها علينا للتصحیح والموافقة، وأضاف إليها بعض ما سبق نشره من الرسائل والنمسخ، ولعل قصده أصلانفع الجمهور بما يحويه هذا المجموع، دون المصالح الدينية والعرض الحاضر. وبعد: فليعلم أن أكثره كان محاضرات ارتتجالية، لم يسبقها تحضير ولا إعداد، وأن ما وقع من الخفاء والارتباك في الألفاظ وعدم التناسب، وعدم استيفاء الأدلة، ومن ذكر بعض الآثار بالمعنى، ونحو ذلك، هو من أجل الارتجال الذي يستدعي أن يتكلم المحاضر بما في ذهنه، ويتنفّظ بما يتذكرة مع طول العهد ببعضها، وحيث أن المعانٍ واضحة في الغالب، فإن القصد حاصل، وهو نفع المطالع بما تيسّر، مع العلم أن ما في هذه المقالات ليس جديداً، بل هو من كلام العلماء السابقين، ومع أن الكتب متوفرة والحمد لله، فقد تيسّر نشر كتب الأولين وفتواهـمـ، وكذا فتاوى مشايخنا وعلماء أهل السنة، وفيها الكفاية لمن قصد الحق، والله الهادي إلى الصواب، وصلـى الله على محمد وآلـهـ وصحـيـهـ وسلمـ. عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرـينـ